بسم ا الرحمن الرحيم فصل .

في أن الفصاحة في اللفظ لا المعنى .

قد أردنا أن نستأنِفَ تقريراً نزيدُ به الناسَ تَبصيراً أنّـَهم في عمياءَ من أمرِهم حتّـَى يسلكوا المسلَكَ الذي سلكناه ويُفْرِغوا خواطِرَهُم لتأمّـُلِ ما استخرجناه وأنّـَهم ما لم يأخذوا أنفسَهم بذلك ولم يُجرّـِدوا عناياتِهم له في غرورٍ كمن يَعِدُ نفسه الريّـَ من السّـَرابِ اللامِعِ ويخادعُها بأكاذيبِ المطامعِ . يقال لهم إنكم تتْلون قولَ ا تعالى : (قَلْ لئَن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنّـُ على أن يأتُوا بِمثْلِ هذا القرآنِ لا يأتُون بِمِثْله) وقولَه Dّـَ : (قُلْ فأتُوا بَعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ) وقولَه : (بسُورةٍ مِنْ مثْلِه) . فقالوا : الآن أيجوزُ أنْ يكونَ تعالى قد أمرَ نبيّـَه بأنْ يتحدّـَى العربَ إلى أن يُعارضوا القرآنَ بمثلِهِ من غيرِ أن يكونوا قد عَرَفوا الوصفَ الذي إذا أتَوا بكلامٍ على ذلك الوصفِ كانوا قد أَتَوا بمثلِه ولا بُدّـَ من " لا " لأنّـَهم إنْ قالوا : يجوزُ أبطلوا التحدّـِي من حيث إنّـَ التحدي - كما لا يخفى - مطالبةٌ بأن يأتوا بكلامٍ على وصفٍ ولا تصحّـُ المطالبةُ بالإِتيان به على وصفٍ من غيرِ أن يكونَ ذلك الوصفُ معلوماً للمطالَبِ ويبطلُ بذلك دعوى الإِعجاز أيضاً . وذلك لأنه لا يتصوّـَر أن يقالَ : إنه كانَ عَجْزٌ حتى يثبتَ معجوزٌ عنه معلوم . فلا يقومُ في عَقْل عاقلٍ أن يقول لخصمٍ له : قد أعجزَك أن تفعلَ مثلَ فعلي . وهو لا يشيرُ إلى وصفٍ يَعلَمُه في فعله ويراهُ قد وقعَ عليه . أفلا تَرى أنَه لو قالَ رَجلٌ لآخرَ : إني قد أحدثتُ في خاتَمٍ عملتهُ صنعةً أنتَ لا تستطيعُ مثلَها لم تَتّـَجه له عليه حجةٌ ولم يثبُتْ به أنه قد أتى بما يعجزُه إلاّ من بعدِ أن يرِيَهُ الخاتمَ ويشيرَ له إلى ما زعمَ أنه أبدعَه فيه منَ الصّـَنعة لأنه لا يصحّـُ وصفُ الإِنسانِ بأنه قد عَجزَ عن شيءٍ حتى يريدَ